

"التربية العربية بين الأصالة والمعاصرة: دور المرجعية الدينية في تنشئة الطفل في ظل التحول الرقمي"

Arab Education between Authenticity and Modernity: The Role of Religious Reference in the Upbringing of the Child in the Context of Digital Transformation

الدكتور أحمد أمّداح (أستاذ محاضر "أ"): جامعة باتنة 1.

Ahmed.ameddah@univ-batna.dz

الملخص:

يشكّل التحول الرقمي أحد أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه النظم التربوية، نظرًا لما أحدثه من تحولات عميقة في مصادر المعرفة ووسائل التعلم وأنماط التفاعل الثقافي والاجتماعي، وتزداد حدة هذا التحدي في السياقات التربوية العربية، حيث تتسم المجتمعات بمرجعيات دينية وقيمية راسخة تشكل الأساس في بناء هوية الطفل وتنشئته الأخلاقية، الأمر الذي يستدعي دراسة معمقة لهذا الدور في ظل التحولات الرقمية المتسارعة؛ ومن هذا المنطلق، تهدف ورقة البحث إلى تحليل دور المرجعية الدينية والقيمية في الحفاظ على معالم الهوية التربوية للطفل العربي في ظل الانفتاح الواسع على الوسائط الرقمية وما تحمله من تأثيرات معرفية وسلوكية، وينطلق البحث من إشكالية محورية تدور حول أهمية مساهمة المرجعية الدينية في تكييف التربية العربية وفق متطلبات العصر الرقمي دون التفريط في القيم الأصيلة، وللإجابة عن الإشكالية تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي من خلال استقراء الأدبيات التربوية وتحليل الواقع التربوي العربي وتفسير تأثيرات التحولات الرقمية على هذا الواقع. وقد كشفت نتائج البحث عن ضرورة تفعيل المرجعية الدينية في تشكيل منظومة القيم لدى الطفل العربي رغم التحديات التي تفرضها البيئة الرقمية المفتوحة. وتبرز النتائج؛ الحاجة إلى إعادة هيكلة الممارسات التربوية بما يتيح توظيف التكنولوجيا بطرق تنسجم مع الخصوصية الثقافية والقيمية. ويوصي البحث بتطوير سياسات تربوية رقمية تركز على المرجعية الدينية، وتعزيز الوعي الأسري والتربوي، إلى جانب إنتاج محتوى رقمي موجه يدعم الهوية والقيم الأخلاقية في سياق تربوي تفاعلي.

الكلمات المفتاحية: التربية العربية، الأصالة والمعاصرة، المرجعية الدينية، الطفل العربي، التحول الرقمي، التنشئة،

القيم التربوية، البيئة الرقمية.

Abstract

Digital transformation represents one of the most significant contemporary challenges facing educational systems, due to the profound shifts it has caused in knowledge sources, learning media, and patterns of cultural and social interaction. This challenge becomes particularly acute within Arab educational contexts, where societies are grounded in deeply rooted religious and moral frameworks that serve as the foundation for shaping children's identity and moral upbringing. This paper aims to analyze the role of religious and moral reference in preserving the educational identity of the Arab child amid the growing exposure to digital media and its associated cognitive and behavioral effects. The research is driven by a central question: How can religious reference contribute to adapting Arab education to the demands of the digital age without compromising authentic values? To address this question, the study adopts a descriptive-analytical approach by surveying educational literature, analyzing the Arab educational reality, and interpreting the impact

of digital transformations on this context. The findings reveal the necessity of activating religious reference in shaping the value system of the Arab child, despite the challenges posed by the open digital environment. The results further highlight the need to restructure educational practices in ways that allow for the integration of technology while remaining aligned with cultural and moral specificities. The study recommends the development of digital educational policies grounded in religious reference, the enhancement of family and educational awareness, and the creation of targeted digital content that reinforces identity and ethical values within an interactive educational framework.

Keywords:

Arab education, authenticity and modernity, religious reference, Arab child, digital transformation, upbringing, educational values, digital environment.

مقدمة:

مع تسارع وتيرة الرقمنة في المجتمعات العربية ، باتت التحولات الرقمية تمسّ عمق البنية الثقافية والاجتماعية وامتد أثرها ليشمل أدق تفاصيل الحياة اليومية بما في ذلك فئة الأطفال؛ فقد أصبح التفاعل مع الوسائط الرقمية ظاهرة مألوفة في حياة الطفل العربي يتشكل من خلالها وعيه المعرفي وتبني أنماط سلوكه وتواصله، ورغم ما تتيحه هذه البيئة الرقمية من فرص معرفية واسعة فإنها تحمل في طياتها مخاطر تربوية وثقافية عميقة تهدد بتميع الهوية واختلال منظومة القيم الأصيلة، خاصة في ظل ضعف الرقابة وغياب البدائل التربوية الهادفة. والإشكال التربوي الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا السياق هو كيفية تحقيق التوازن بين متطلبات المعاصرة بما تفرضه من انفتاح وتفاعل مع تقنيات العصر وبين الأصالة الدينية التي تعدّ حجر الزاوية في منظومة التنشئة العربية الإسلامية، فالتحدي لا يكمن في رفض الوسائط الرقمية أو الانغلاق دونها، بل في القدرة على دمج المرجعية الدينية في صلب الممارسات التربوية الرقمية بما يكفل للطفل العربي تنشئة متوازنة تجمع بين الجذور والقيم من جهة والانفتاح الواعي والفاعل على المستجدات من جهة أخرى.

وتبرز أهمية ورقة البحث في ظل الانفجار الهائل في حجم المحتوى الرقمي الموجّه للأطفال الذي يغلب عليه الطابع الترفيهي والاستهلاكي في مقابل تراجع أدوار المرجعيات التقليدية كالمؤسسة الأسرية والدينية والتعليمية في ضبط مسارات التنشئة والتوجيه، وهو واقع يستدعي إعادة نظر جادة في أساليب التربية المعاصرة واستنهاض دور المرجعية الدينية كفاعل محوري في توجيه استخدام الوسائط الحديثة نحو بناء شخصية الطفل العربي على أسس راسخة من الإيمان والقيم والوعي. ومن هذا المنطلق يبرز سؤال جوهري: كيف يمكن للمرجعية الدينية أن تسهم في الحفاظ على أصالة التربية العربية وتنشئة الطفل ضمن معطيات العصر الرقمي دون انفصال عن القيم أو انغلاق عن الحداثة؟

وانطلاقاً من الإشكالية المطروحة، يمكن صياغة الفرضيات التالية:

- من المرجح أن تندمج المرجعية الدينية بفاعلية في مشروع التربية الرقمية دون أن يؤدي ذلك إلى تآكل أصالتها أو فقدان خصوصيتها.
- يُحتمل أن يكون لضعف التأصيل الديني في أساليب التنشئة الحديثة دور مباشر في إضعاف الهوية التربوية للطفل العربي.

- قد تبين أن المعاصرة لا تتعارض بالضرورة مع الأصالة، بل يمكن توظيف أدوات العصر الرقمي لخدمة القيم التربوية والدينية وتعزيزها.

أهداف البحث ومنهجيته:

في ظل التحديات التربوية التي أفرزها العصر الرقمي، ووسط الحاجة إلى إعادة التوازن بين الموروث القيمي والتطور التكنولوجي، تبرز ضرورة تناول الموضوع من زاوية تجمع بين التحليل النظري والرؤية العملية وذلك سعياً إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أبرزها:

- توضيح مفهوم الأصالة والمعاصرة في التربية العربية.
- دراسة تأثير التحول الرقمي على منظومة التنشئة التقليدية.
- إبراز دور المرجعية الدينية في سد الفجوة بين الأصالة والتحولات الحديثة.
- اقتراح بدائل عملية لدمج القيم الدينية في التنشئة الرقمية.

ولتحقيق متطلبات البحث، سنسلك المنهج الوصفي التحليلي لتوصيف وتحليل الواقع التربوي العربي وتفسير تأثيرات التحولات الرقمية على هذا الواقع، والمنهج المقارن للمقارنة بين أساليب التنشئة التقليدية وآليات التنمية الرقمية وتأثيراتها على الهوية التربوية، والمنهج الاستشرافي لاستشراف الحلول المستقبلية وابتكار تصورات عملية تساهم في دمج القيم التربوية الدينية ضمن البيئة الرقمية.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

المطلب الأول: مفهوم التربية العربية وأبعادها (الدينية، اللغوية، القيمية)

يستخلص من استقراء المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للتربية العربية بأنها: العملية التي تهدف إلى نقل المعرفة والقيم من جيل إلى آخر ضمن إطار ثقافي واجتماعي، حيث يتفاعل الإنسان مع محيطه الثقافي والاجتماعي من خلال منظومة تعليمية تدمج بين المعارف الدينية واللغوية والقيمية، وتتسم هذه التربية بكونها قائمة على أسس راسخة من التاريخ والهوية العربية مما يجعلها جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الجماعية للأمة العربية، كما تهدف إلى بناء الفرد بشكل متوازن يضمن له القدرة على المشاركة الفعالة في مجتمعه مع الحفاظ على أصالته وهويته الثقافية (ابن منظور، 2003).

ويشير البُعد الديني للتربية العربية إلى الدور الكبير الذي يلعبه الدين الإسلامي في تشكيل قيم وأخلاقيات الأفراد باعتباره الدين الرئيسي في الدول العربية حيث يعد عنصراً محورياً في تحديد أطر التربية من خلال تعليم مبادئه، تفسيراته، وتعاليمه لاسيما أنه لا تقتصر التربية الدينية على جوانب العبادات فقط بل تمتد لتشمل تطبيق القيم الأخلاقية في المعاملات اليومية مما يساهم في تشكيل شخصية الأفراد من الناحية الأخلاقية والدينية (يالجين، 1986).

كما يشكل البُعد اللغوي جزءاً أساسياً من التربية العربية، حيث تلعب اللغة العربية دوراً جوهرياً في دعم الهوية الثقافية والتواصل بين أفراد المجتمع، وهذا باعتبار اللغة العربية ليست فقط وسيلة للتعبير عن الفكر والمشاعر، بل هي عنصر رئيسي في الحفاظ على التراث العربي والتاريخ الثقافي، كما يساهم التعليم باللغة العربية في تمكين الأفراد من فهم النصوص الدينية والأدبية والتاريخية التي تشكل أساس الثقافة العربية مما يساهم في تعزيز قدرتهم على المشاركة الفعالة في المجتمع وفي الحفاظ على الهوية اللغوية للأمة (سليمان، " محرر"، 2011).

ويعزز البُعد القيمي في التربية العربية مجموعة من القيم الإنسانية والاجتماعية التي تسهم في تربية الأفراد على الاحترام المتبادل، العدالة، المسؤولية الاجتماعية، والتعاون، وهي قيم مستمدة من التراث العربي و الدين الإسلامي، لكنها أيضًا تتفاعل مع المتغيرات الاجتماعية الحديثة، لذلك تسعى التربية القيمية إلى بناء شخصية قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة مع الحفاظ على المبادئ الثقافية والاجتماعية التي تدعم التماسك الاجتماعي وتقوي الوحدة بين أفراد المجتمع العربي.

المطلب الثاني: مفهوم الأصالة والمعاصرة في السياق التربوي.

أولاً: مفهوم الأصالة

تمثل الأصالة الكيان الحضاري للأمة الإسلامية الذي يشمل العقيدة والنظم والقيم والمدارس التي تشكل بدورها الهوية والانتماء والشعور بالتجانس (البيانوني، 1409هـ)، فعلى الرغم من أن الأصالة في جانب من جوانبها تنتمي إلى الماضي فهذا لا يعني أنها تدفع المجتمع إلى أن يعيش في ماضيه دون حاضره، بل تمنحه السياج الآمن الذي يستطيع في حدوده التفاعل مع الواقع والقدرة على هضم منجزات الحضارة دون الذوبان فيها أو الخوف منها. وتمثل الأصالة الكيان الحضاري للأمة الإسلامية الذي يشمل العقيدة والقيم والمذاهب والمدارس التي تشكل بدورها الهوية والانتماء والشعور بالتجانس (البشري، 1405هـ)، وعلى الرغم من أن الأصالة في جانب من جوانبها تنتمي إلى الماضي كونها تعتمد على الكتاب والسنة، فإن هذا لا يعني أن الأصالة تدفع المجتمع إلى أن يعيش في ماضيه دون حاضره وأن يجمد على وضع تاريخي واحد، فالكتاب والسنة هما معياران يقاس بهما الأفكار وتُختبر بهما النظريات التربوية، وهو معيار غير مقيد بحدود الزمان والمكان، بل يصلح لتوجيه الإنسان اعتقاداً وفكراً وسلوكاً في كل عصر ومصر، ويُعد ذلك من سمات الوحي التي يختلف بها عن الفكر البشري المحدود، فالأصالة تمنحنا المعايير الصحيحة للقبول والرفض، كونها السياج الآمن الذي نستطيع في حدوده التفاعل مع الواقع والقدرة على هضم منجزات الحضارة دون الذوبان فيها أو الخوف منها (حسنه، 1405هـ)، وهذا ما نلمسه في الفكر الإسلامي الذي يرى أن فهم الأصالة يقتضي ما يلي: (القرضاوي، 1414هـ)

ضرورة المعرفة والفهم لثقافتنا من مصادرها الأصيلة، وليس من المصادر الهامشية أو الدخيلة، وبأدواتها ومناهجها الخاصة لا بأدوات ومناهج غريبة عنها أو مفروضة عليها.

الاعتزاز بالانتماء الإسلامي العربي، فالإسلام هو المؤثر الأول في ثقافة المسلم، وينبغي على المسلم أن يعتز بدينه ويتحرر من عقدة النقص التي يعاني منها الكثير تجاه الثقافة الغربية.

العودة إلى الأصول والجذور العقديّة والفكرية والأخلاقية، وتحويل اعتزازنا النظري والعاطفي إلى سلوك عملي.

اتباع طريقة السلف في فهم الدين والعمل به والعمل له، والاجتهاد لعصرنا كما اجتهدوا لعصرهم، ومراعاة بيئتنا وأعرافنا وأحوالنا كما راعوا بيئتهم وأعرافهم وأحوالهم، واقتباس ما ينفعنا كما اقتبسوا ما ينفعهم.

الانتفاع الواعي بالتراث، ويشمل هذا الانتفاع الغوص في التراث لاستخراج ما فيه من نفع وفائدة من خلال استحضار مكوناته الدينية، الفكرية، الأدبية، والاجتماعية ليس فقط بهدف المحافظة عليه، بل من أجل توظيفه توظيفاً يخدم الحاضر ويسهم في بناء المستقبل، وهو يختلف عن مجرد التقليد أو التمجيد العاطفي للتراث لأنه يقوم على فحصه وتحليله واستخلاص ما يمكن أن يكون صالحاً ومثمراً في الحياة المعاصرة، مع تجاوز ما أصبح متجاوزاً أو غير مناسب.

ثانياً: مفهوم المعاصرة

يُعد مصطلح المعاصرة من المفاهيم المفتاحية في الفكر التربوي الحديث، فهو يشير إلى الوعي الحيّ بالواقع الراهن والتفاعل الإيجابي مع مستجداته المعرفية والتقنية والثقافية، ولا تقتصر المعاصرة على مجرد التواجد في الزمن الحاضر، بل تشمل الفهم النقدي لهذا الحاضر والمشاركة الفاعلة في تشكيله بما يحقق التوازن بين الحداثة والهوية.

فمفهوم المعاصرة مرتبط بموقف الإنسان من الفكر الذي يعاصره من حيث القبول أو الرد أو التعديل أو الإضافة بناءً على معايير تحددها عقيدة المجتمع وقيمه وثقافته، وبالتالي لا تعني المعاصرة بالضرورة. الأخذ بأحدث ما توصل إليه الفكر المعاصر وتبنيّه وتطبيقه، بل تعني الاطلاع عليه واستيعابه ثم تحديد الموقف منه وفقاً للمعايير العقدية والقيمية؛ فمعايير الحكم على فكرة ما بأنها معاصرة ينبغي على فعالية هذه الفكرة في التعامل مع الواقع القائم وقدرتها على إعطاء حلول ناجحة للمشكلات الحاضرة وإيجابياتها في تنمية المجتمع بطريقة متكاملة ومتوازنة، وهذا يعني أن مفهوم المعاصرة مفهوم نسبي؛ أي يختلف باختلاف العقائد والقيم والثقافات التي توجه المجتمعات البشرية، فقد يقبل مجتمع ما فكرة أو مجموعة من الأفكار ولا يرى ذلك مخلًا بمفهوم المعاصرة، بينما يرفض مجتمع آخر الأفكار نفسها لأنها غير صالحة للحياة فيه أو لأنها تعتبر مخلّة بمنظومة القيم التي تحكمه. وفي هذا الإطار يرى (البشري، 1405هـ) أن المجتمع المسلم يمكن أن يستفيد من المجتمعات الأخرى في مجال الفكر والنظم ما يعينه على النهوض ومواجهة التحديات، ولكن ليس من اللازم أن يكون هناك مطابقة أو تماثل بين العصر الحديث الأوروبي والعصر الحديث الإسلامي تحت شعار المعاصرة.

ونخلص أن المعاصرة ليست مجرد لحاق ميكانيكي بركب التحديث، بل هي مشروع وعي نقدي بالعصر، يسعى إلى تمكين الإنسان من أدوات الفهم والإبداع والعمل ضمن رؤية شاملة تدمج الكونية بالخصوصية، كما تمثل المعاصرة أساساً لتربية فاعلة وقادرة على إعداد أفراد يُحسنون العيش في عالم متغير دون أن يفقدوا ذاتهم.

المطلب الثالث: المرجعية الدينية ركيزة أصيلة في المنظومة التربوية

يعد مصطلح "المرجعية" من المصطلحات الحديثة التي لم يعهدها العلماء المتقدمون، وإنما شاع استعماله بكثرة عند المتأخرين من أهل السنة والجماعة، فيطلقون مصطلح "المرجعية" ويقصدون به معنيين أحدهما: مرجعية الفكرة؛ المتمثلة في الاختيارات الفقهية أو السلوكية، والثاني مرجعية الأفراد؛ ويُراد بها الرجوع إلى علماء بعينهم ممن يمثلون مرجعاً في الفتوى، أو التوجيه، أو التأصيل العلمي (الجزيري، ع.ح. 2009)، وغالبًا ما يرتبط هذا المعنى بالتقليد أو التلقي في الفقه أو العقيدة، فيُقال مثلاً: "المرجعية الدينية لدولة الجزائر هي الإطار الأصولي والقانوني الذي يسيّر ممارسة شعائر الدين الإسلامي في الجزائر ضمن مدرسة أهل السنة والجماعة تحت إشراف وزارة الشؤون الدينية الجزائرية" ويُقصد بذلك الاعتماد على شخصية علمية أو مدرسة فقهية كمصدر معتمد في الفهم والاستنباط، وهذا يعني أن المرجعية الدينية تمثل كل الأسس المعتمدة في فهم الدين الإسلامي وتطبيقه في مجتمع ما.

وتكمن أهمية المرجعية الدينية في كونها توفر ثوابت أخلاقية وعقائدية تسهم في بناء الشخصية المتوازنة وتعزز الانتماء القيمي والهوياتي لدى المتعلمين، كما تؤدي المرجعية الدينية دورًا توجيهيًا وإرشاديًا يضمن بقاء العملية التربوية متجذرة في سياقها الحضاري والثقافي الأصيل وتحول دون الانسياق نحو نماذج تربوية مستوردة قد تتناقى مع الخصوصيات الثقافية والدينية للمجتمع، لذلك فإن المنهج التربوي المرتكز على مرجعية دينية متينة لا يقتصر على نقل المعارف فحسب، بل يسعى إلى تكوين الإنسان القادر على الإسهام الإيجابي في محيطه بما يحقق التوازن بين البعد الروحي والمادي في شخصيته دون الانغلاق على الذات أو رفض الآخر.

و يعتبر الدين الإسلامي المرجعية الأساسية والمصدر الأول في تشكيل المنظومة القيمية داخل المجتمعات العربية الإسلامية، فهو الذي يحدد الإطار الأخلاقي والمعياري لسلوك الفرد المسلم، وهذا يعني أن فهم القيم، سواء كانت دينية أو كونية كقيم الحرية، والمساواة، وحقوق الإنسان، لا يمكن أن يكون بمعزل عن هذا الإطار المرجعي، إذ تُفهم هذه القيم وتؤوّل بما ينسجم مع الخصوصية الحضارية والثقافية الإسلامية، كما تُعد النصوص الشرعية ممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والسيرة النبوية الشريفة، المرجع الأعلى في الحكم على الأشياء من حيث القبول أو الرفض، والحسن أو القبح، والجل أو الحرمة.

وهذا ينعكس على الأهداف الرئيسية التي تتضمنها المناهج التربوية والتعليمية في العالم الإسلامي من ترسيخ عقيدة التوحيد وتثبيت القيم الإسلامية في وجدان المتعلمين انطلاقاً من هذه الأصول المرجعية الراسخة، فالتربية بوصفها عملية إنماء الإنسان في كليته، لا يمكن أن تنفصل عن مرجعية تحدد غاياتها ومضامينها ووسائلها.

المبحث الثاني: التحول الرقمي و آثاره على تربية النشء

يشكل التحول الرقمي أحد أبرز التحديات والتغيرات البنيوية التي يشهدها الواقع التربوي المعاصر، خاصة في سياق تنشئة الأطفال وتكوينهم القيمي والثقافي؛ فمع الانتشار الواسع للتكنولوجيا الرقمية وتنامي استخدام الوسائط التفاعلية والشبكات الاجتماعية، والتطبيقات الذكية، أصبح الطفل العربي محاطاً بمنظومة رقمية معقدة تؤثر في أنماط تفكيره وتوجيه سلوكه، وصياغة لغته، بل وتعيد تشكيل صورته عن ذاته ومجتمعه، وفي خضم هذا التحول، أصبحت الوسائط الرقمية أكثر من مجرد أدوات ترفيه أو تواصل، بل باتت فاعلاً تربوياً منافساً – وأحياناً مهيماً – على المرجعيات التقليدية للأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية، وهو ما توضحه المطالب التالية:

المطلب الأول: مظاهر التحول الرقمي في حياة الطفل العربي

أصبح الانتشار الواسع للأجهزة الرقمية من أبرز مظاهر التحول الرقمي في حياة الطفل عموماً والعربي بالخصوص، وقد باتت الهواتف الذكية، والأجهزة اللوحية، والحواسيب متاحة في بيئاتهم المنزلية والتعليمية على حد سواء، حيث تشير الدراسات إلى أن نسبة كبيرة من الأطفال في العالم العربي يستخدمون هذه الأجهزة يومياً سواء لأغراض تعليمية أو ترفيهية (UNICEF, 2019)، وقد أفرز هذا الاستخدام المبكر والمكثف للوسائل الرقمية أنماطاً جديدة من التفاعل المعرفي والسلوكي، وأصبح يمثل مصدراً رئيساً للمعرفة والتواصل، بل أحياناً بديلاً عن التفاعل الأسري والاجتماعي المباشر.

من جهة أخرى، أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي والتطبيقات الرقمية الموجهة للأطفال تشكل مظهرًا آخر من مظاهر التحول الرقمي، إذ تعدد المنصات التي يتفاعل معها الطفل مثل YouTube Kids، وTikTok، والألعاب الإلكترونية التفاعلية، وهي منصات لا توفر فقط محتوى مرثياً ومسموعاً، بل تتيح أيضاً مشاركة مباشرة مع الآخرين بمختلف ثقافاتهم لتشكيل مجتمعات رقمية، وعلى الرغم من إيجابياتها في تطوير مهارات رقمية مبكرة فإنها تعرض الطفل لمخاطر تتعلق بالخصوصية، والعنف الرقمي، والتأثيرات القيمة غير الأخلاقية (Livingstone et al., 2020).

كما يظهر هذا التحول بوضوح في التغيرات التي طرأت على أنماط التعلم واللعب، حيث أصبح المحتوى الرقمي مصدراً أساسياً في بناء خبرات الطفل اليومية؛ فالتعلم الذاتي عبر التطبيقات التعليمية والتفاعل مع بيئات الواقع الافتراضي والذكاء الاصطناعي، قد أعاد تشكيل علاقة الطفل بالمعرفة وجعلها أكثر فردانية وسرعة، لكنها أحياناً أقل عمقاً وتفاعلاً إنسانياً، وهو نمط قد يُضعف مهارات التفكير النقدي والاجتماعي إذا لم يتم توجيهه ضمن إطار تربوي متوازن. (Aboumar, M. 2020)

المطلب الثاني: تأثير المحتوى الرقمي على القيم والسلوك واللغة.

في ظل التحول الرقمي، لم تعد مصادر التوجيه القيمي لدى الطفل العربي محصورة في الأسرة أو المدرسة، بل أصبحت التطبيقات ومواقع التواصل الاجتماعي والأفلام الرقمية تشارك بشكل مباشر في بناء منظومة القيم لديه، إلا أن هذه المضامين الرقمية التي يتعرض لها سواء من خلال الرسوم المتحركة أو مقاطع الفيديو أو الألعاب، هي في الغالب تحمل في طياتها أنماطاً

ثقافية وسلوكية قد تكون متباينة أو متعارضة مع المرجعيات القيمية للمجتمعات العربية الإسلامية. وهو ما يجعل الطفل العربي يعيش في حالة من التشويش الأخلاقي وفقدان الثبات القيمي لديه، خصوصاً في غياب التوجيه أو الرقابة الفاعلة. فعلى المستوى السلوكي، نجد التفاعل المكثف مع المحتوى الرقمي يؤدي إلى تغييرات ملموسة في سلوكيات الطفل سواء من حيث طريقة التعبير، أو التعامل مع الآخرين، أو إدارة الوقت والانفعالات، حيث أظهرت دراسات حديثة وجود علاقة بين الاستخدام المفرط للألعاب الإلكترونية ومظاهر العدوانية، وضعف التركيز، والانعزال الاجتماعي (Anderson et al., 2017)، كما أن الاعتماد على الاستجابات الفورية في البيئات الرقمية يقلل من قدرة الطفل على التحمل والصبر ويغذي لديه الميل إلى الإشباع الفوري مما يؤثر سلبيًا على مهاراته الحياتية والتنظيمية.

وفيما يخص اللغة الفصحى، فإن التعرض المكثف لهجات مختلفة ولغات أجنبية غير منضبطة أو المحتوى غير المراقب يؤدي إلى تراجع استخدام اللغة العربية الفصحى لدى الأطفال وانتشار ظواهر لغوية هجينة، مثل الخلط بين اللغات (code-switching)، واستخدام مفردات عامية أو رقمية في مواقف غير مناسبة، وهو ما يؤدي إلى ضعف الهوية اللغوية والثقافية ويؤثر على قدرة الطفل في التعبير السليم والتفكير المنطقي المرتبط بلغة الأم، وهذا يعني أن تأثير المحتوى الرقمي على اللغة لا يقف عند حدود اللفظ بل يمتد إلى تشكيل بنية التفكير وأساليب التواصل. (الهاشمي، س. 2021)

وفي هذا الجانب أيضاً، يُلاحظ أن المحتوى الرقمي يُعيد تشكيل مفهوم القدوة لدى الطفل، حيث لم تعد شخصيات الأسرة أو المعلمين أو الرموز الدينية والثقافية تحتل الصدارة في وجدان الطفل، بل حلت محلها شخصيات رقمية ومؤثرون افتراضيون يقدمون أنماطاً حياتية جذابة لكن كثيراً ما تفتقر إلى العمق القيمي أو المسؤولية التربوية، وهو تحول يؤدي إلى خلخلة المعايير الأخلاقية للأطفال، إذ يتم تبني سلوكيات ومواقف بناءً على الشهرة أو الانتشار الرقمي لا على أساس التمييز بين ما هو حسن وقبيح أو نافع وضار، وهي ظاهرة تستدعي من الأسرة والمؤسسات التربوية والدينية تجديد أدواتها في تقديم القدوة وربطها بسياقات واقعية وأخلاقية قريبة من الطفل المعاصر، مما يعكس تحدياً كبيراً يتمثل في ضرورة إيجاد توازن بين الجاذبية التقنية للمحتوى الرقمي، وبين الحفاظ على آليات التعلم القائمة على المرجعية الدينية الأصيلة.

المطلب الثالث: مظاهر التراجع والتهميش للمرجعية التربوية التقليدية.

تشهد المرجعية التربوية التقليدية المتمثلة في الأسرة والمدرسة والمؤسسة الدينية، تراجعاً ملحوظاً في دورها التأطيري والتوجيهي للطفل العربي في ظل الانتشار المتسارع للوسائط الرقمية؛ حيث أصبح الطفل أكثر ارتباطاً بمصادر المعرفة الرقمية غير المنضبطة وهو ما أدى إلى تهميش نسبي للخطاب التربوي التقليدي الذي كان يُلقن القيم عبر التفاعل المباشر والمرافقة التربوية الطويلة الأمد (الربيعي، 2020)، وتأتي هذه التحولات في سياق بيئة رقمية توفر المحتوى بشكل فوري ومُبهر يصعب على المرجعيات التربوية التقليدية مجاراته من حيث الشكل والجاذبية مما يؤدي إلى فقدانها لجاذبيتها لدى النشء.

ومن أبرز مظاهر هذا التراجع، ضعف تأثير الأسرة كمصدر أولي للتنشئة القيمية؛ ففي كثير من البيئات العربية لم تعد الأسرة هي من يضع الضوابط السلوكية أو يوجّه اهتمامات الطفل، بل بات المحتوى الرقمي الموجه عبر المنصات الرقمية هو المتحكم في أنماط التفاعل والتفكير لديه، حيث تشير الدراسات إلى أن هذا التغيير أدى إلى اتساع الفجوة بين الأجيال وصعوبة ضبط توجهات الأطفال من قِبل الوالدين الذين قد لا يمتلكون الكفاءة الرقمية أو الوعي الكافي بخطورة بعض التطبيقات والمحتويات (الحمادي، 2019).

كما ساهم التحول الرقمي في إضعاف وظيفة المدرسة كمؤسسة توجيهية، ليس فقط بسبب تعدد مصادر المعرفة الرقمية بل أيضاً نتيجة لتراجع سلطة المعلم أمام هيمنة الوسائط الحديثة، فالتعلم بات يتجه إلى الإنترنت ومحركات البحث والتطبيقات التعليمية بدلاً عن الدور التفسيري والتوجيهي للمعلم وهذا من شأنه أن يحدث ارتباكاً في العلاقة التربوية بين

المعلم والمتعلم ويضعف من أثر التفاعل التربوي القائم على القيم والسلوكيات داخل الفصول الدراسية . ومن جهة أخرى، تراجعت مكانة المؤسسة الدينية في التأثير على وجدان الطفل، لا بسبب ضعف محتواها، ولكن لقصور أدواتها الاتصالية في العصر الرقمي؛ فالمساجد، والخطب، والمقررات الدينية الموجهة للأطفال غالبًا ما تقدم بخطاب تقليدي يصعب أن ينافس المحتوى الرقمي البصري والترفيهي الجذاب، وهو ما يحد من وصول الرسالة القيمية والدينية للأطفال بفاعلية (ثابت، 1405هـ)، وبالتالي تبرز الحاجة إلى تطوير وسائل الدعوة والتربية الدينية لتواكب الوسائط الجديدة وتستثمرها بدلاً من ترك الساحة فارغة للرسائل غير المنضبطة، خاصة وأن هذا التهميش التدريجي للمرجعيات التقليدية ترافقه خطورة بناء الطفل لنموذج معرفي وقيمي خارج منظومة المرجعيات الأصيلة، ما يؤدي إلى ما يُعرف بـ"الانفصام القيمي" أي التناقض بين ما يُفترض أن يتشربه الطفل من قيم تربوية مستمدة من بيئته وما يتلقاه فعليًا من منصات رقمية عابرة للثقافات والهويات، وهو وضع يستدعي إعادة النظر في أدوار المرجعيات التربوية التقليدية، وتفعيل حضورها ضمن بيئة رقمية مدروسة وموجهة.

المبحث الثالث: دور المرجعية الدينية في تربية التنشئة الحديثة

تشكل المرجعية الدينية أحد المكونات الأساسية في البناء التربوي للمجتمعات العربية الإسلامية، إذ تمثل الإطار القيمي والمعرفي الذي يُستند إليه في توجيه سلوك النشء وتشكيل وعيهم وضبط علاقتهم بذواتهم وبالآخرين، وفي ضوء التحولات التكنولوجية المتسارعة التي يشهدها العصر الحديث برزت الحاجة الملحة إلى إعادة استحضار هذه المرجعية ضمن مقاربات تربوية تستجيب لمتطلبات الواقع دون أن تُفترط في الثوابت، فالتنشئة لم تعد مقتصرة على المؤسسات التقليدية كالأُسرة والمدرسة كما سبق ذكره بل أصبحت منظومة متداخلة تتأثر بمجموعة من المؤثرات الثقافية والتكنولوجية العابرة للحدود، وهنا تبرز أهمية المرجعية الدينية بوصفها عنصراً فاعلاً في حماية الهوية وتحصين الطفل من التحديات القيمية التي يفرضها العصر الرقمي، وذلك من خلال دمج مضامينها في المناهج وتعزيز حضورها في الخطاب التربوي، وتكييفها مع الوسائط المعاصرة بأساليب تربوية هادفة ومجددة.

المطلب الأول: وظائف المرجعية الدينية (التقويم السلوكي، تعزيز القيم، بناء الهوية).

تلعب المرجعية الدينية دورًا هامًا في حياة المجتمعات سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، فإلى جانب دورها الديني في بيان أحكام الشريعة الإسلامية وتفسير نصوصها، تقوم المرجعية بوظائف اجتماعية وثقافية تساهم في ضبط السلوك الاجتماعي وترسيخ القيم الأخلاقية والمساهمة في تشكيل هوية الأفراد والجماعات. (الشهري، 2010)

أولاً- التقويم السلوكي: تضطلع المرجعية الدينية بوظيفة تقويم السلوك الفردي والجماعي من خلال توجيه الأفراد نحو الالتزام بالسلوكيات المنسجمة مع مبادئ الدين الإسلامي وتجنب الممارسات المنهي عنها أو الخارجة عن الإطار الأخلاقي للمجتمع، ويظهر هذا الدور بشكل جلي في الفتاوى الدينية، والخطب، والمواقف الشرعية من القضايا العامة، وهو ما يجعلها تُقدّم نموذجًا للسلوك القويم وتُسهم في ضبط الانحرافات السلوكية، خصوصًا في أوقات الأزمات أو التحولات الاجتماعية.

ثانيًا- تعزيز القيم: تُسهم المرجعية الدينية بدور محوري في ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية داخل المجتمعات من خلال خطابها التربوي والتوعوي الذي يستند إلى المبادئ الدينية والنصوص الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة؛ فالقيم مثل العدالة، والرحمة، والأمانة، والتضامن وغيرها، كلها تُفعل وتُغذى باستمرار عبر التوجيهات المستمرة التي تصدر عن المرجعية، سواء عبر الخطب أو الإصدارات الفكرية أو المواقف العامة. وفي ظل ما تشهده المجتمعات المعاصرة من تحديات أخلاقية وثقافية نتيجة العولمة والانفتاح الإعلامي، تبرز أهمية المرجعية في توفير منظومة قيمية متماسكة تُحصن الفرد من التفكك وتُعزز الارتباط بالهوية الأخلاقية والدينية لأجل ترسيخ ثقافة الفضيلة في الوعي الجماعي للأمة.

ثالثًا. بناء الهوية: تعتبر المرجعية الدينية عنصرًا فاعلاً في تشكيل الهوية الفردية والجماعية، إذ توفر إطارًا معرفيًا وروحياً يُعين الأفراد على فهم ذواتهم وتحديد موقعهم ضمن سياقهم الديني والثقافي، ومن خلال توجيهها للفكر والسلوك ومواقفها من القضايا المصيرية تساهم المرجعية في صوغ رؤية متكاملة للعالم تنبع من منظومة دينية راسخة مستوحاة من مصادر الشريعة الإسلامية، وهو ما يكرس الإحساس بالانتماء إلى الأمة الإسلامية مما يسهم في تقوية اللحمة الداخلية وتحسين الهوية ضد محاولات التشويه أو الذوبان الثقافي، وتزداد أهمية هذا الدور في الظروف التي تواجه فيها المجتمعات تحديات خارجية تهدد استقرارها الثقافي والديني.

ويتبين من هذه الوظائف أن المرجعية الدينية تتجاوز الأدوار التقليدية المتصورة لها لتشكل أحد الأعمدة التي تسهم في بناء المجتمع واستقراره؛ فمن خلال تقويم السلوك، وتعزيز القيم، وبناء الهوية، تؤدي المرجعية الدينية دورًا فاعلاً في تشكيل البنية الثقافية والاجتماعية وتوجيه حركة المجتمع نحو الصلاح والتماسك، وفي ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر تزداد الحاجة إلى فهم أعمق لدور المرجعية الدينية وكيفية تفعيل وظائفها بما ينسجم مع متطلبات العصر دون التفريط بالثوابت.

المطلب الثاني: تفعيل المرجعية الدينية في ضوء مستجدات الواقع الرقمي

تُسهم المرجعية الدينية في تربية النشء على القيم من خلال تقديم نموذج تربوي متوازن يجمع بين الثوابت الأخلاقية والوعي الواقعي بمتغيرات العصر (الشهري، 2010)، بمعنى أن لا تقتصر على تلقين القيم المجردة، بل تسعى إلى غرسها في سياقات حياتية معاصرة تراعي البيئة الثقافية والتكنولوجية التي ينشأ فيها الطفل:

أولاً، الاعتماد على الخطاب التربوي القيمي المستند إلى النصوص الشرعية على أن لا يكون الخطاب جامدًا أو منعزلًا عن الواقع المتغير، بل يستوجب تأويلاً وظيفياً مرناً يتفاعل مع الأطر النفسية والاجتماعية والتقنية المحيطة بالطفل، لأن إعادة تفسير القيم المستمدة من النصوص وفقاً لخصوصيات المرحلة المعاصرة لا تعني الخروج عن الأصول، وإنما تعني الترجمة الإجرائية لهذه القيم بطريقة تجعلها ذات معنى وفاعلية في بيئة الطفل المتحوّلة.

فعلى سبيل المثال، لا يُقدّم "الصدق" باعتباره قيمة تراثية مجردة أو التزامًا أخلاقياً تقليدياً فحسب، بل يُفهم أيضاً كمهارة حياتية ضرورية في عصر الرقمنة، حيث تتكاثر المعلومات الزائفة والأخبار المضللة، وتصبح القدرة على التمييز بين الحقيقي والمفبرك من مقتضيات السلوك الأخلاقي، أما "الأمانة" فتُعاد صياغتها في إطار الاستخدام الآمن والمسؤول للإنترنت، كاحترام خصوصية الآخرين، وعدم نسخ أو تداول المعلومات دون وعي أو ترخيص، وهو ما يعكس فهماً حديثاً لأخلاقيات الفضاء الرقمي، وفي ما يتعلّق ببرّ الوالدين، فإنه يُستعاد ضمن بنية أسرية لم تعد دائماً تقليدية، بل قد تتسم بالتغيّر في الأدوار والتوزيع الزمني والمكاني للعلاقات داخل الأسرة، مما يتطلب فهماً مرناً وامتكيافاً لمبدأ البرّ في توجهات جديدة.

ثانياً، مواكبة الوسائل التربوية الحديثة من خلال الانفتاح على أدوات الإعلام الرقمي والتقنيات التعليمية، فلم يعد بالإمكان الاقتصار على الوسائل التربوية التقليدية في إيصال القيم الدينية للأطفال خصوصاً في ظل التغيّرات الحادة التي فرضتها الوسائط الرقمية في تشكيل أنماط التلقي والتفاعل لدى الأجيال الجديدة، و من هذا المنطلق تظهر الحاجة إلى تجديد آليات الخطاب التربوي القيمي من خلال الانفتاح الواعي على أدوات الإعلام الرقمي والتقنيات التعليمية الحديثة، دون الإخلال بجوهر المرجعية الدينية.

ويبرز هنا استخدام الوسائل الحديثة كالقصص الرقمية التفاعلية التي توظف عناصر التشويق البصري والسمعي لإيصال القيم في قالب قريب من اهتمام الطفل، كما يُوظف المسرح التفاعلي لتفعيل الحضور الوجداني والسلوكي لدى الأطفال مما يتيح لهم تمثّل القيم وممارستها لا مجرد حفظها، وأيضاً استثمار الوسائط المتعددة (الفيديوهات، التطبيقات التربوية، الألعاب التعليمية) في ترسيخ المعاني الأخلاقية بأسلوب حيوي يتناسب مع أنماط التعلّم الحديثة لدى الطفل، وبهذا الأسلوب

لا تكون المرجعية الدينية مجرد ناقل للمضامين، بل شريكاً في إعادة تصميم الخبرة التعليمية بما يجعل القيم أكثر رسوخاً وتأثيراً.

ثالثاً، تحصين الطفل بالقيم دون فصله عن عصره؛ فالهدف النهائي من التربية القيمية المرتكزة على المرجعية الدينية لا يعني عزل الطفل عن معطيات عصره أو حرمانه من أدوات الحداثة، وإنما العمل على تحصينه بمنظومة قيمية تمكّنه من التفاعل الواعي والمسؤول مع الواقع وبناء شخصية متوازنة قادرة على التمييز بين ما هو نافع وما هو ضار، ومن هنا يتضح أن المرجعية الدينية تُراهن على بناء ضمير أخلاقي داخلي لدى الطفل، وليس مجرد تقييد سلوكي خارجي. فهي تُعلّم الطفل أن الاستقلالية الفكرية والسلوكية لا تتنافى مع الالتزام بالمبادئ، بل تُعدّ نتاجاً ناضجاً للتربية القيمية السليمة، كما تُرسّخ في وعيه أن الهوية الدينية ليست نقيضاً للحداثة، بل إطاراً مرناً يُمكنه من استيعاب معطيات العصر وتوجيهها أخلاقياً، ومن خلال هذا التكامل بين الأصالة والمعاصرة يمنح الطفل القدرة على العيش بوعي في عالم مفتوح دون أن يفقد بوصلته القيمية أو ينقطع عن جذوره الثقافية والدينية، وهو نوع من التربية الوقائية التي تُعدّ الطفل لمواجهة التحديات ليس عن طريق الإنطواء وإنما بالحكمة والانفتاح المسؤول.

وهذا يعني أن المرجعية الدينية في مشروعها التربوي تنطلق من قناعة أن القيم لا تُفرض، بل تُبنى تدريجياً عبر علاقة حوارية قائمة على الثقة، فتؤسس بذلك لجيلٍ واعٍ متديّنٍ بعقل منفتح، قادرٍ على التفاعل مع تحديات عصره دون أن يتنازل عن مبادئه الأصيلة.

المطلب الثالث: تحديات المرجعية الدينية تجاه تربية النشء في بيئة رقمية منفتحة.

في ظل التحولات الجذرية التي أحدثتها الثورة الرقمية في بنية التواصل والمعرفة ظهرت أنماط جديدة في تلقي المعلومات وتداولها، الأمر الذي ألقى بظلاله على طبيعة العلاقة بين المرجعية الدينية وجمهورها ولا سيما فئة النشء، فقد فرض هذا الانفتاح غير المسبوق واقعاً اتصاليًا وإعلاميًا معقدًا أصبحت معه المؤسسة الدينية تواجه تحديات متزايدة تتعلق بمصادقية الخطاب الديني وفاعليته ومدى قدرته على التكيف مع الوسائط الرقمية الحديثة، وقد أدى هذا الواقع إلى خلخلة في منظومة التنشئة الدينية بفعل الانفتاح الواسع على مصادر معرفية متعددة حيث يحمل بعضها مضامين تتعارض في كثير من الأحيان مع المرجعية الدينية الأصيلة، وهو ما أوجد تحديات تربوية عميقة، نذكر منها ما يلي:

1. التعدد والتنوع غير المنضبط في مصادر المعرفة:

فقد أتاح وفرة المحتوى الرقمي وسهولة الوصول إليه أمام الطفل كمّيات ضخمة من المعلومات عبر الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الهواتف الذكية دون وجود آليات فاعلة للفرز أو التحقق من صحة المضامين أو مرجعيتها، وهو ما أدى إلى نشوء حالة من التشتت المعرفي والارتباك القيمي لا سيما عندما يتلقى الطفل معلومات متناقضة أو غير منسجمة مع المرجعية الدينية التي نشأ عليها داخل أسرته أو مؤسسته التعليمية، وهو ما يجعل الطفل يتعرض لما يُعرف بـ"فوضى المعرفة" التي يصبح من خلالها لا يميز بين الرأي والمعلومة، الأمر الذي يعمق الفجوة بينه وبين مرجعيته التقليدية ويقلل من موثوقيتها في نظره.

ونتيجة لهذا التعدد في المصادر فإنه يصعب على المرجعية الدينية أن تحافظ على مكانتها الحصرية كمصدر موثوق للتوجيه بالطرق التقليدية، خاصة وأن المحتوى الرقمي يقدم نماذج دينية "مبسطة" أو "مُغرية" بلغة معاصرة مما جعل بعض الأطفال يكوّنون مفاهيمهم الدينية الأولى من مقاطع فيديو قصيرة أو تعليقات في شبكات التواصل، وهو ما يتسبب في حرمانهم من بناء معرفة دينية متدرجة وممنهجة.

2. ضعف الجاذبية البصرية والتفاعلية للمحتوى الديني التقليدي

في ظل التحول الرقمي، أصبح الأطفال والناشئة يعتمدون بصورة أساسية على الوسائط التفاعلية الحديثة لتلقي المعلومات والتعلم؛ مثل الألعاب الإلكترونية، الفيديوهات القصيرة، القصص المصورة، والمنصات البصرية التي تجمع بين الصورة والصوت والحركة، وهي وسائط تتميز بقدرتها العالية على جذب الانتباه وتوفير بيئة تعليمية ترفيهية محفزة تراعي خصائص النمو العقلي والنفسي للفئات العمرية الصغيرة، وهو ما خلق فجوة واضحة بين ما يتلقاه الطفل في الفضاء الرقمي وبين ما يُقدّم له من محتوى ديني تقليدي والذي يتسم غالبًا بالاعتماد على الأسلوب التلقيني والنصوص المجردة دون مراعاة البعد التفاعلي أو الجمالي في العرض، وهو ما يحد من فاعليته التربوية والتأثيرية خاصة في بيئة تنافسية مفتوحة تزاخم فيها التطبيقات الترفيهية ومحتوى المؤثرين على انتباه الأطفال واهتماماتهم .

فغياب التوظيف الفعال لأدوات التكنولوجيا الحديثة (مثل الرسوم المتحركة، الألعاب الإلكترونية، والبرامج التفاعلية..) في تقديم المفاهيم الدينية، ساهم بقدر وافر في تراجع دور المؤسسات الدينية من حيث التأثير على وجدان الطفل وتكوينه القيمي، ومن هنا تبرز الحاجة الملحة إلى تطوير المحتوى الديني شكلاً ومضموناً عبر تبني مقاربات بيداغوجية رقمية تدمج بين الأصالة في الرسالة والتجديد في الوسيلة بما يضمن استعادة التأثير وتوسيع دوائر التلقي والقبول.

3. صعوبة الرقابة الأسرية والمؤسسية على المحتوى الرقمي

يعد هذا العنصر من أبرز التحديات التي تواجه المرجعية الدينية في أداء دورها التربوي، حيث باتت التقنيات الحديثة والبيئة الرقمية المفتوحة توفر للأطفال والمراهقين إمكانية الوصول إلى كميات ضخمة من المعلومات والمحتويات، كما نجد بعضها يتعارض مع القيم الدينية والأخلاقية التي تسعى المرجعية إلى غرسها. فالبيئة الرقمية أوجدت فضاءً تواصلياً جديداً يتميز بالانفتاح وغياب الضوابط الصارمة، الأمر الذي جعل مهمة الرقابة الأسرية والمؤسسية عملية معقدة وغير فعّالة في كثير من الأحيان (عبدالواحد، إ. ع. ر. 2020)، وتزداد خطورة هذا التحدي مع ما يعرف بالفردانية الرقمية "Digital Individualism"، حيث يكتسب الفرد ضمنها حرية شبه مطلقة في اختيار ما يستهلكه من محتوى في غياب رقابة مباشرة من الأسرة أو المؤسسة التربوية أو الدينية، وهو ما أشارت إليه الدراسات (Center.D. C.P. 2024) بأن الوقت الذي يقضيه النشء على الإنترنت أصبح يفوق بكثير الوقت الذي يقضونه مع أسرهم أو في المؤسسات التعليمية وهو ما يقلص من تأثير المربين ويزيد من تأثير المؤثرين الرقميين الذين قد ينشرون قيماً تتناقض مع التوجهات الدينية أو الأخلاقية، والاعتماد المتزايد على الخوارزميات في عرض المحتوى يُبني ما يعرف بفقاعات الترشيح "Filter Bubbles" التي تعزل الطفل داخل محتوى موجه لا يخضع لأي رقابة تربوية أو دينية.

و من جهة أخرى، فإن نقص الوعي الرقمي لدى كثير من الآباء والأمهات والمعلمين، يساهم في ضعف فعالية الرقابة؛ فبينما يمتلك النشء مهارات رقمية متقدمة، يعاني الكثير من الكبار من فجوة رقمية تحول دون ممارسة رقابة فعّالة وهو واقع يستدعي من المرجعية الدينية تطوير أساليبها في التربية الرقمية من خلال توعية الآباء والمربين، وتقديم بدائل رقمية آمنة وإنشاء محتوى جذاب يحمل القيم الدينية بطرق معاصرة.

4. هيمنة النموذج الثقافي العالمي (العلماني أو المادي)

لم تقتصر العولمة الرقمية على الجوانب الاقتصادية أو التكنولوجية، بل امتدت لتشمل الأبعاد الثقافية والقيمية مفرزة نمطاً ثقافياً عالمياً يميل إلى الفردانية، والنفعية، ورفع القيود الدينية عن السلوك، وهو ما يشكل صداماً مع المنظومات القيمية المحلية والدينية، حيث يشير الزعبي (2020) أن وسائل الإعلام الرقمية. خصوصاً المنصات العالمية ك"نتفليكس"، و"تيك توك"، و"يوتيوب". تقدم محتوى ترفيهياً وثقافياً يغلب عليه الطابع المادي والعلماني مما يؤدي إلى تطبيع هذه القيم عند النشء دون

أن يكونوا واعين لأثرها في تشكيل وعيهم وانتمائهم، وتتجلى هذه الهيمنة في تصوير النجاح على أنه مادي، والحرية على أنها تحرر من القيم، والسعادة على أنها استهلاك، وهي مفاهيم تتعارض مع الأطر الإسلامية في التربية التي تؤكد على المعنى، والالتزام، والغاية الأخلاقية للحياة.

كما تتسع خطورة هذا التأثير عندما يرتبط النموذج الثقافي العالمي بما يسمى "القوة الناعمة" أي التأثير غير المباشر من خلال الإعلام والفن والتكنولوجيا، وهو ما يجعل المرجعية الدينية تنافس نماذج ثقافية جذابة، عصرية، وسهلة التلقي لكنها خالية من البعد الروحي أو الغاية الأخلاقية، وفي ظل غياب بدائل رقمية قوية تمثل المرجعية الدينية فإن النشء لا محالة سيندمج تلقائيًا في هذا النموذج الذي سيخلق فجوة بين ما يتلقونه من قيم داخل الأسرة أو المدرسة، وما يشاهدونه ويتفاعلون معه يوميًا على المنصات الرقمية، وقد يفضي ذلك على المدى البعيد إلى تآكل المرجعية الدينية خصوصًا إذا لم تُصاحبها مشاريع تثقيفية وإعلامية رقمية ذات رؤية إسلامية معاصرة قادرة على التفاعل مع العصر دون التفريط في الثوابت.

5. التأثير النفسي والتربوي للمحتوى غير القيمي

تشير الدراسات إلى أن تكرار التعرض لمحتويات رقمية غير قيّمة يؤثر تدريجيًا على البنية النفسية للطفل إذ تتكوّن لديه استجابات انفعالية وسلوكية تُطبع لاحقًا في شخصيته، خصوصًا عندما تكون هذه المضامين مترافقة مع نماذج جذابة أو مكافآت ضمن سياق الألعاب أو مقاطع الفيديو، وتؤكد الأبحاث النفسية الحديثة أن النشء يتعلم أكثر من خلال التكرار والنمذجة السلوكية اللاواعية، وهو ما يجعلهم عرضة لاكتساب قيم سلبية دون إدراك مباشر (المركز التربوي للبحوث والإنماء، 2015). كما تُحدث البيئة الرقمية ما يسمى بـ"الانفصال القيمي" حيث يتلقى الطفل أو المراهق خطابًا أسريًا أو دينيًا يقوم على الضبط الأخلاقي والانضباط السلوكي، بينما ينخرط في بيئة ترفيهية مشبعة بقيم متحررة أو ساخرة من تلك المرجعيات، وهو ما يؤدي إلى اضطراب داخلي في الهوية وتناقض نفسي في الانتماء القيمي مما يُضعف من فاعلية المرجعية الدينية التربوية ويجعلها أقل تأثيرًا في تشكيل السلوك أو التوجيه، والأخطر من ذلك أن بعض الألعاب الرقمية والفيديوهات الموجهة تتضمن إنكارًا مباشرًا أو غير مباشر للغيبات والذات الإلهية، وتسخر من العقيدة أو تتعامل معها كخيال أو أسطورة وهي مخاطر تزرع بذور الشك أو اللامبالاة الدينية في وجدان النشء في مرحلة مبكرة، وهنا تصبح مهمة المرجعية الدينية مزدوجة: حماية نفسية وتربوية من جهة، وإعادة بناء المصدقية القيمية والدينية من جهة أخرى.

المبحث الرابع: استراتيجيات تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة في التربية الرقمية:

لحماية النشء المعاصر من الانجراف وراء المحتوى غير القيمي والحفاظ على صلتهم بهويتهم الدينية، يتطلب تفعيل دور المرجعية الدينية في تقديم الخطاب القيمي بلغة عصرية وتسخير أدوات التقنية الحديثة لنشر القيم الأخلاقية بشكل جذاب وتفاعلي دون التفريط بالثوابت الشرعية، كما يشمل أيضا هذا التوازن دمج المحتوى الديني التربوي في التطبيقات والألعاب والوسائط الرقمية التي يتفاعل معها الجيل الرقمي بما يجعل القيم جزءًا من تجربتهم اليومية لا مجرد وعظ خارجي، وهي استراتيجيات يعتمد نجاحها على شراكة فعالة بين الأسرة، والمؤسسة الدينية، والتربوية، والتقنية لتشكيل بيئة رقمية بديلة قادرة على المنافسة وتجمع بين روح الأصالة ومتطلبات العصر.

المطلب الأول: تطوير مناهج تعليمية مرنة تجمع بين الدين والتقنية

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم، لم تعد المناهج التقليدية التي تعتمد على الحفظ والتلقين قادرة على مواكبة متطلبات العصر الرقمي، ومن جهة أخرى فإن الاقتصر على الجوانب التقنية دون مراعاة القيم الدينية والثقافية قد يؤدي إلى تهميش الهوية وتلاشي ثوابتها كما سبق ذكره، الأمر الذي يستدعي ابتكار منهجية تكاملية. تجمع بين الأصالة والمعاصرة

لإعادة بناء محتوى تعليمي يُحافظ على الثوابت الدينية والثقافية، ويُدمج في الوقت نفسه المهارات الرقمية والتكنولوجية المطلوبة في الحياة الحديثة.

ولتحقيق ذلك يتطلب مرونة فكرية وبنائية تسمح بإدخال التقنية الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والتعليم الإلكتروني في سياقات تعليمية تعزز من فهم المتلقي لقيمه الإسلامية، حيث تشير الدراسات التربوية إلى أن استخدام التكنولوجيا الحديثة في التعليم الديني قد يسهم في إنماء التفاعل والفهم العميق للنصوص الدينية من خلال تطبيقات الواقع الافتراضي والوسائط المتعددة (رقية، ص.ع. 2023)، كما يساهم أيضا تفعيل التفكير النقدي وربط المفاهيم الدينية بالقضايا المعاصرة في إعداد جيل قادر على التعامل مع تحديات العصر ضمن إطار منضبط أخلاقياً وقيماً.

ومن الناحية التطبيقية، يتطلب تطوير هذه المناهج التعاون بين خبراء التربية وعلماء الشريعة، ومطوري التكنولوجيا الحديثة من أجل إنتاج محتوى تعليمي مرن وفعال، وينبغي أن تُبنى هذه المناهج على أسس تربوية حديثة مثل التعليم القائم على المشاريع، والتعلم الذاتي، والتعليم التشاركي بحيث تكون قادرة على تحقيق التوازن بين تزويد المتعلم بالمعرفة الدينية الرصينة من جهة وبين تنمية مهارات التفكير والإبداع الرقمي من جهة أخرى؛ فتربية النشء على العقيدة والقيم الإسلامية كالصدق، الإحسان، الاحترام، وتحمل المسؤولية، يمكن أن تتم بشكل فاعل من خلال تصميم محتوى رقمي يجمع بين الترفيه والتوجيه، خاصة وأن الأطفال في البيئة الرقمية يتفاعلون أكثر مع الوسائط الرقمية التي تقدم الرسائل التربوية ضمن سياقات سردية مشوقة وشخصيات محببة وأساليب تفاعلية تعتمد على الصور والأصوات والحركة، لذلك فإن إدماج هذه القيم ضمن قصص إلكترونية أو فيديوهات تعليمية وتطبيقات ترفيهية لا شك أنه سيساهم في بناء وعي ديني وأخلاقي منذ الصغر بأساليب تلائم طبيعة الجيل الرقمي.

المطلب الثاني: تمكين الأسرة والمدرسة من أدوات رقمية ذات مرجعية تربوية

لضمان استمرار التأثير التربوي الإيجابي على النشء في بيئة رقمية متعددة المؤثرات، تبرز الحاجة الملحة إلى تمكين الأسرة والمدرسة من أدوات رقمية ذات مرجعية تربوية عربية وإسلامية، ومن أمثلتها: المنصات التعليمية القائمة على القيم، وتطبيقات الإرشاد الأسري، وأنظمة المتابعة الرقمية للسلوك والتحصيل العلمي، وهي أدوات تُسهم في تحسين التواصل بين المدرسة والأسرة و تمكين الأهل من متابعة التطور السلوكي والمعرفي لأبنائهم بطرق مرنة وسهلة؛ فعلى سبيل المثال، تتيح بعض التطبيقات الذكية للوالدين الاطلاع على تقييمات سلوكية يومية، إضافة إلى محتوى تعليمي ذي بعد قيمي مع تقديم نصائح تربوية مخصصة تتناسب مع عمر الطفل وخصائصه، كما توفر للمعلمين أدوات تخطيط دروس رقمية متوافقة مع المنهج التربوي الإسلامي ما يساعدهم على إدماج القيم في المواقف التعليمية اليومية (الذهلية وآخرون، 2023).

ولنجاح هذه المبادرات يتطلب بنية رقمية مدروسة وتدريباً متخصصاً للمربين وأولياء الأمور على استخدام هذه الأدوات بفعالية، إلى جانب رقابة تربوية على المحتوى المعروض، كما أن تطوير هذه الأدوات يجب أن يستند إلى شراكات متعددة بين المؤسسات التعليمية، والهيئات الدينية، ومؤسسات التكنولوجيا الحديثة لضمان توازن المحتوى بين البعد القيمي والتقني، خاصة وأن الدمج الفعال للتقنية الرقمية في التربية يتطلب فهماً عميقاً للبيئة الثقافية والاجتماعية للطفل، وهو ما يحققه وجود مرجعية عربية إسلامية واضحة في تصميم الأدوات الرقمية التربوية، وبذلك تصبح هذه الأدوات وسيلة استراتيجية لحماية هوية الأجيال القادمة وتثبيت وعيمهم الديني والأخلاقي في عصر الرقمنة.

المطلب الثالث: بناء شراكات بين مؤسسات دينية وتقنية لإنتاج محتوى هادف.

يُعد بناء شراكات فعالة بين المؤسسات الدينية والمؤسسات التقنية خطوة استراتيجية هامة لإنتاج محتوى رقمي هادف يجمع بين الأصالة الإسلامية والمواكبة التكنولوجية؛ فالمؤسسات الدينية تمتلك المرجعية المعرفية والشرعية التي تضمن سلامة

المحتوى من الناحية العقدية والقيمية، في حين تمتلك المؤسسات التقنية القدرة على تحويل هذا المحتوى إلى أدوات رقمية تفاعلية تتلاءم مع طبيعة المستخدمين في العصر الرقمي، ومن خلال هذه الشراكات يمكن إنتاج برامج وتطبيقات وألعاب تعليمية، ومنصات إلكترونية، ووسائط متعددة تسهم في نشر المعرفة الإسلامية وفق أساليب مبتكرة تجذب فئات عمرية مختلفة، لا سيما فئة الأطفال واليافعين .

ويتطلب التعاون بين الجانبين وضع إطار مؤسسي واضح يحدد الأدوار ويضمن جودة المحتوى، إضافة إلى اعتماد منهجيات تصميم تعليمية ترتكز على فهم سيكولوجية المتعلم الرقمي وربطها بالمضامين الإسلامية، وهو ما تثبتته بعض النماذج الناجحة التي أظهرت نتائج واعدة دمجت بين الخبراء التربويين والعلماء الشرعيين ومصممي واجهات المستخدم وأنتجت مواد تعليمية تميزت بالدقة والمرونة حيث تعرض بأساليب تعتمد على التفاعل البصري والصوتي والسيناريوهات الحياتية ، كما أن توفير بيئات عمل مشتركة بين هذه الجهات سيسهم في تطوير المحتوى بشكل مستمر استجابةً لاحتياجات الجمهور وتطورات التكنولوجيا، ومن شأن هذه الشراكات أن تفتح آفاقاً واعدة في تطوير الإعلام التربوي والديني الرقمي بما يتيح إنتاج محتوى يخاطب الأجيال الجديدة بلغة معاصرة دون الإخلال بالمضمون القيمي، كما يمكن توسيع نطاق هذه الشراكات ليشمل الجامعات ومراكز البحث العلمي بما يسهم في تقويم المحتوى وضمان اتساقه مع معايير الجودة الأكاديمية والثقافية، وهي رؤية تمثل نموذجاً تكاملياً للتحويل من نمط الإنتاج الفردي إلى نموذج معرفي تشاركي يُعزز الأثر الاجتماعي والتربوي للمحتوى الرقمي ويُرسخ فاعليته في البيئة المعاصرة.

خاتمة:

في ضوء ما تم طرحه، يستنتج أن تطوير مناهج تعليمية مرنة ومتكاملة تجمع بين الأصالة الدينية والتقنية الحديثة لم يعد خياراً تربوياً، بل ضرورة ملحة لمواكبة التحديات المعاصرة وحماية الهوية القومية للأجيال، فدمج القيم الدينية في المحتوى الرقمي الموجه للأطفال، وإنشاء تطبيقات تعليمية ذات مرجعية تربوية إسلامية إلى جانب تمكين الأسرة والمدرسة من أدوات رقمية متخصصة، كلها خطوات تؤسس لتربية معرفية وأخلاقية متكاملة تواكب احتياجات الجيل الرقمي دون التفريط في الثوابت.

كما تخلص ورقة البحث إلى أهمية بناء شراكات بين المؤسسات الدينية والتربوية والتكنولوجيا الحديثة لإنتاج محتوى هادف ومؤثر يُخاطب العقول والوجدان معاً، ويعيد تشكيل الوعي الديني بلغة تتماشى مع أساليب العرض المعاصرة، ومن هنا تبرز الحاجة الملحة إلى تجديد الخطاب التربوي الديني لينتقل من الوعظ التقليدي إلى نماذج تعليمية تفاعلية قائمة على الفهم والتحليل والتطبيق العملي باستخدام الوسائط الرقمية التي تجذب النشء وتبني وعيه في بيئة قريبة منه نفسياً وثقافياً. وهذا يعني، أن الدعوة مفتوحة أمام صناع القرار التربوي والديني لبناء نموذج تربية متكامل أصيل في مرجعيته يستند إلى مقومات الهوية الإسلامية والعربية، ومعاصر في وسائله يستفيد من التقنيات الحديثة وأساليب التعلم الرقمي، وهو نموذج لا يسعى فقط إلى نقل المعرفة، بل إلى تشكيل الإنسان القادر على فهم دينه والتفاعل مع عصره وصناعة مستقبله ضمن منظومة متزنة من القيم والمعرفة.

التوصيات:

في إطار السعي لبناء منظومة تربوية تجمع بين المرجعية الإسلامية والأدوات الرقمية المعاصرة، يقترح البحث التوصيات

التالية:

- (1) إطلاق مبادرات وطنية مشتركة بين وزارات التعليم وهيئات الشؤون الدينية، ومؤسسات التكنولوجيا الحديثة، لتطوير مناهج رقمية متكاملة تضم القيم الإسلامية بلغة تفاعلية وأساليب تربوية حديثة، تلبى احتياجات المتعلم الرقمي وتواكب التحولات التقنية.
- (2) إعداد برامج تدريبية متخصصة للمعلمين وأولياء الأمور بهدف تأهيلهم لاستخدام الأدوات الرقمية ذات المرجعية التربوية الدينية بفعالية، وتمكينهم من توجيه النشء نحو محتوى هادف وآمن في البيئة الرقمية.
- (3) تحفيز القطاع الخاص ومؤسسات الابتكار التكنولوجي على الاستثمار في تصميم تطبيقات وألعاب تعليمية تدمج القيم الإسلامية مع المهارات الحياتية والتفكير الإبداعي، ضمن إطار تربوي معتمد من الجهات العلمية والدينية المختصة.
- (4) دعم الأبحاث والدراسات التربوية التطبيقية في مجال توظيف التكنولوجيا لخدمة التعليم الديني، وتقديم نماذج محكمة لدمج القيم في البيئات التعليمية الرقمية بما يساهم في بناء أدلة إرشادية تعتمد عليها المؤسسات التربوية.
- (5) تبني نموذج تربوي متكامل يستند إلى مرجعية إسلامية رصينة ويُنفذ عبر وسائل عصرية متقدمة، مع التأكيد على ضرورة تجديد الخطاب التربوي الديني ليصبح أكثر قدرة على التفاعل مع متغيرات العصر ولغة الجيل الجديد.

قائمة المصادر والمراجع :

مصادر ومراجع باللغة العربية:

- ابن منظور، جمال الدين، (2003)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- الأنصاري، م. (2020). *فاعلية الأدوات التعليمية الرقمية في دعم المعلمين نحو دمج القيم في التعليم المدرسي*. مجلة التربية الإسلامية، (1)، 45.
- البشري، طارق، (1411هـ)، ملاحظات منهجية حول موضوع التجديد في الفقه الإسلامي، مجلة الاجتهاد، بيروت، دار الاجتهاد، ع9، س3.
- البيانوني، محمد أبو الفتح، (1409هـ)، الأصالة والمعاصرة خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع1.
- ثابت، ناصر، (1405هـ)، التحدي الاجتماعي واحد من التحديات الحضارية والغزو الثقافي في دول الخليج، ندوة "التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي"، مسقط، مكتب التربية العيين لدول الخليج.
- الجزيري، عبد الحليم. (2009). المرجعية الدينية: المفهوم، النشأة، الأدوار. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- حسنة، عمر عبيد، (1411هـ)، مقدمة كتاب: أزمنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق " لأحمد محمد كنعان، كتاب الأمة، قطر، ط1.
- الذهلية، ح. ب. ن.، الحارثية، ع. ب. س.، العاني، و. ث.، & الخروصي، ح. ب. ع. (2023)، توظيف التواصل الإلكتروني بين الإدارة المدرسية وأولياء الأمور بسلطنة عمان في ضوء نموذج إبستن للشراكة المجتمعية. مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، ع. 47، ج. 1.
- الحمادي، س. (2019). أثر الإعلام الرقمي على دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للأطفال. مجلة الطفولة والتنمية، (1)، 16.
- خالد، ف. (2020). *تصميم تطبيقات تعليمية تفاعلية مستندة إلى مبادئ التربية الإسلامية*. مجلة دراسات تربوية إسلامية، (2)، 12.
- رقية أسعد صالح عرار، (2023)، مناهج التربية الإسلامية والثقافة الإسلامية بين الواقع والمأمول، مجلة كلية التربية، م39، ع5.
- الزعبي، ن. م. (2020). *الهوية الثقافية في ظل العولمة الرقمية*. عمان: دار كنوز المعرفة.
- سليمان ياسر، (2011)، اللغة والهوية في العالم العربي، روتلديج، لندن.
- الشهري، عبد الله بن صالح. (2010). *المرجعية الدينية في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية لوظائفها وأدوارها*. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- عبد الجبار، سامي. (2020). *الخطاب الديني في الفضاء الإلكتروني: الفرص والتحديات*. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 15 (2).
- عبد الواحد، إيمان حكيم رفاعي. (2020). دور الأسرة في تحقيق الأمن الرقمي لطفل الروضة في ضوء تحديات الثورة الرقمية. مجلة دراسات في الطفولة والتربية، 14، 109-65، كلية التربية للطفولة المبكرة، جامعة المنيا.
- القرضاوي، يوسف، (1414هـ)، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، القاهرة، مكتبة وهبة.
- المركز التربوي للبحوث والإنماء. (2015). *سلامة الأطفال على الإنترنت*. بيروت.
- المطيري، س. أ. (2019). تأثير العولمة الثقافية على الشباب العربي: دراسة في ضوء المرجعية الإسلامية. مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، (1)، 13.
- الهاشمي، حسين. (2022). *تحولات العلاقة بين المرجعية والمتلقي في العصر الرقمي*. مجلة الدراسات الفكرية، (3)، 11.
- الهاشمي، س. (2021). البصمة اللغوية لمستخدمي لغة الضاد في العالم الرقمي. مجلة BAL، (1)، 1، 60-45.
- الهاشمي، ع. (2022). *منصات التعلم الرقمية ذات المرجعية التربوية الإسلامية: التحديات والإمكانات*. المجلة العربية لتقنيات التعليم، (3)، 17.
- بالجين مقداد، (1986)، التربية الأخلاقية الإسلامية، مؤسسة دار الريحاني، بيروت.

- Aboomar, M. (2020). A semasiological approach to Islamic studies terminology [Doctoral dissertation, University of Vienna.
https://www.researchgate.net/publication/340818321_A_Semasiological_Approach_to_Islamic_Studies_Terminology
- Centers for Disease Control and Prevention. (2024). *Daily screen time among teenagers: United States, July 2021–December 2023* (NCHS Data Brief No. 513). National Center for Health Statistics.
<https://www.cdc.gov/nchs/products/databriefs/db513.htm>
- Livingstone, S., Blum-Ross, A., Pavlick, J., & Ólafsson, K. (2020). *Parenting for a Digital Future: How Hopes and Fears about Technology Shape Children's Lives*. Oxford University Press.
- UNICEF. (2019). *Growing up in a connected world: The state of the world's children 2019*.
<https://www.unicef.org/sowc>
- Anderson, C. A., Gentile, D. A., & Buckley, K. E. (2017). *Violent video game effects on children and adolescents: Theory, research, and public policy*. Oxford University Press.
- Kardefelt-Winther, D., Heathershaw, J., & Aaby, A. (2017). *How does the time children spend using digital technology impact their mental well-being, social relationships and physical activity?*. UNICEF Office of Research-Innocenti.
- Chaudron, S., Di Gioia, R., & Gemo, M. (2018). *Young children (0–8) and digital technology: A qualitative study across Europe*. Publications Office of the European Union.